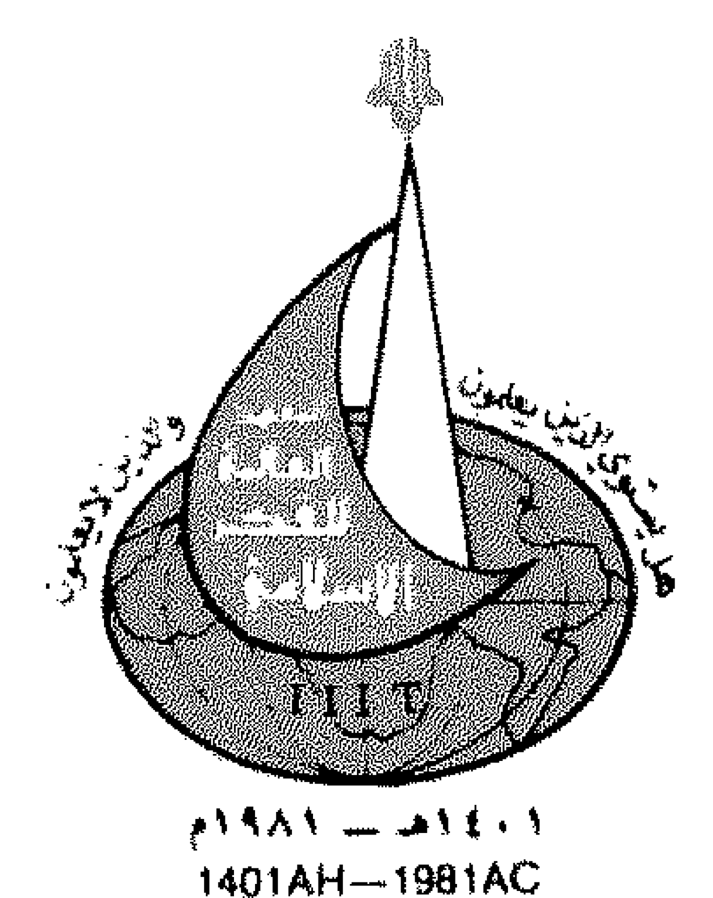
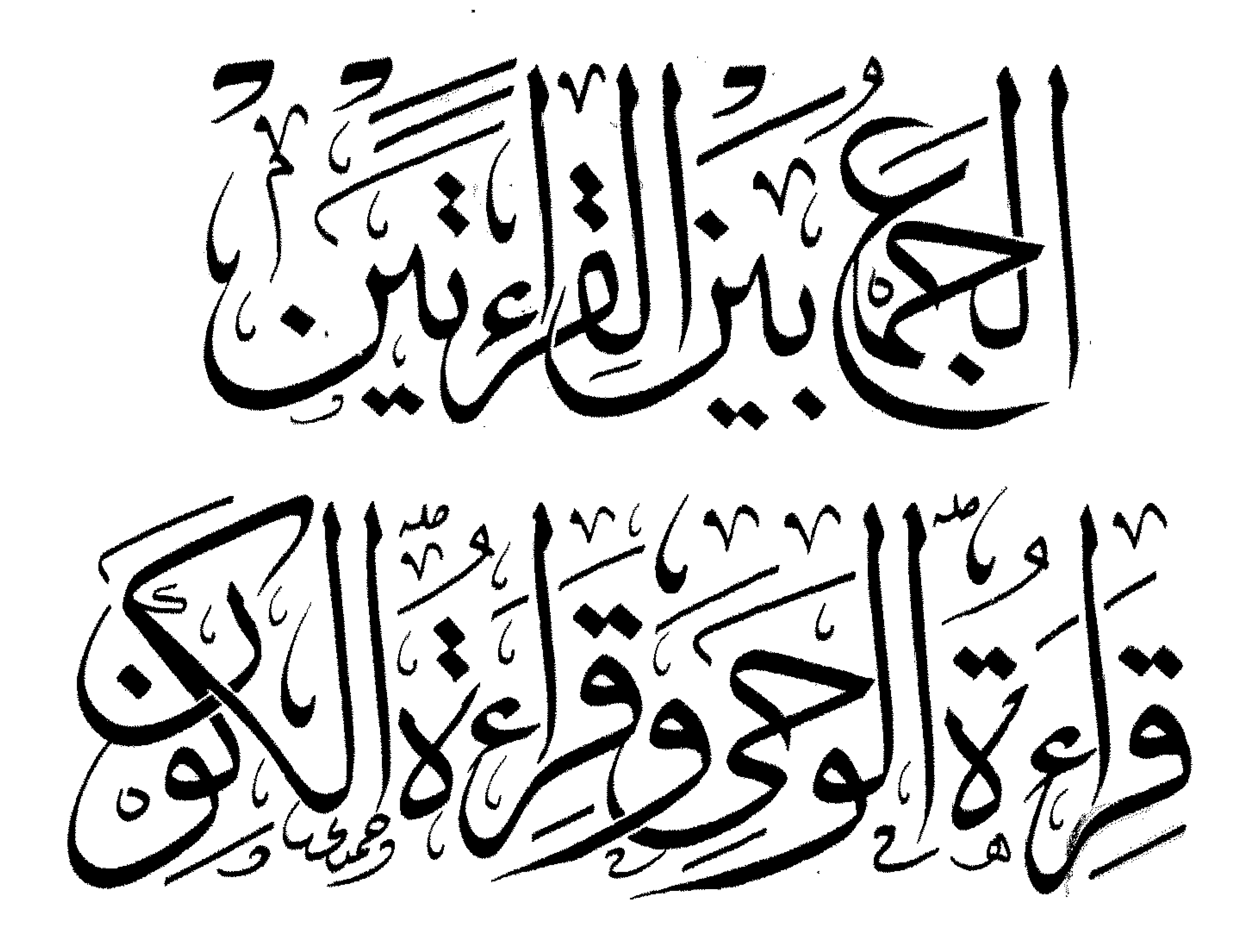


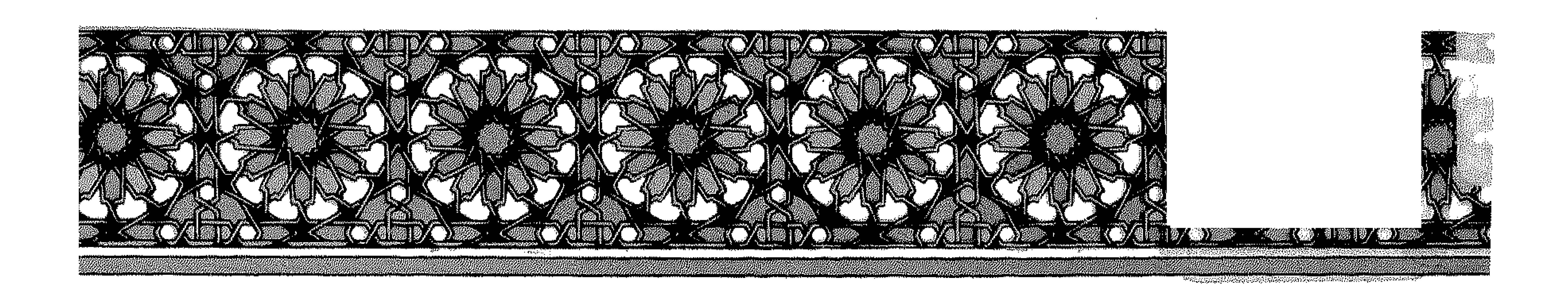


المعهد العالمي للفكر الإسلامي

سلسلة إسلامية المعرفة (٢٢)



الأستاذ الدكتور طه جابر العلواني



طه جابر العلوانى

ـ من مواليد العراق عام ١٣٥٤هـ /١٩٣٥م .

ـ ليسانس كلية الشريعة و القانون ، جامعة الأزهر عام ١٣٧٨هـ /١٩٥٩م .

ـ ماجستير كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

ـ دكتوراه أصول الفقه ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر عام ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م .

ـ أستاذ الفقه و أصوله ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام ١٣٩٥هـ ـ١٤٠٥م / ١٩٧٥ ـ ١٩٨٥م .

ـ شارك فيتأسيس المعهد العالمى للفكر الإسلامى في الولايات المتحدة عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م

ـ رئيس المعهد العالمى للفكر الإسلامى وعضو مجلس الأمناء .

ـ عضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

ـ عضو مجمع الفقه الإسلامى الدولى بجدة .

ـ رئيس المجلس الفقهى لأمريكا الشمالية .

ـ رئيس جامعة العلوم الإسلامية و الاجتماعية " SISS" .

ـ حقق كتاب " المحصول فى علم أصول الفقه " للإمام فخر الدين الرازى فى ستة مجلدات .

أهم المؤلفات المنشورة : ـ

ـ الاجتهاد والتقليد فى الإسلام .

ـ أدب الاختلاف فى الإسلام .

ـ أصول الفقه الإسلامى : منهج بحث ومعرفة .

ـ إسلامية المعرفة بين الأمس و اليوم.

ـ التعددية أصول ومراجعات بين الاستتباع والإبداع .

ـ حاكمية القرآن .

ـ الأزمة الفكرية ومناهج التغيير .

ـ الجمع بين القراءتين .

الجمع بين القراءتين

قراءة الوحي وقراءة الكون

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م

الجمع بين القراءتين

قراءة الوحى وقراءة الكون

أ . د / طه جابر العلوانى

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
القاهرة
١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م

(سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢٢)

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
٢٦ ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج. م. ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة .

العلوانى ، طه جابر .
الجمع بين القراءتين قراءة الوحى وقراء الكون /
طه جابر العلوانى . - ط١ . - القاهرة : المعهد العالمى
للفكر الإسلامى ، ١٩٩٦ .
٣٠ ص ؛ سم . - (سلسلة إسلامية المعرفة ؛ ٢٢)
يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .
تدمك ٣ - ٧١ - ٥٢٢٤ - ٩٧٧ .
١ - القرآن والعلم . أ - العنوان .
ب - (السلسلة) .

رقم التصنيف : ٢٢٩,٤٥ .
رقم الإيداع : ١٩٩٦/١٠١٠٦

المحتويات

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين أصطفى .

فبين يدى القارىء رؤية معرفية للجمع بين القراءتين : قراءة كتاب الله المسطور (الوحى) ، وقراءة كتاب الله المنظور (الكون) كمصدرين للمعرفة البشرية المتزنة الواعية ، والتى يشير إليها تكرار الأمر بالقراءة فى أول ما نزل من القرآن الكريم: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم** ﴾ فكرر الأمر مرتين : مرة باسم ربك الذى خلق ، ومرة باسمه سبحانه حيث علم بالقلم .

هذه الرؤية المعرفية التى يقدمها لنا الأستاذ الدكتور طه جابر العلوانى نموذج للدراسات الجادة التى تثير الفكر وتطبق الرؤية المنهجية المعرفية لإسلامية المعرفة فى كيفية رسم الأطر الكلية من ناحية والتعامل مع القرآن الكريم وتفاعله مع الواقع من ناحية أخرى ، ويبين بطريقة عملية البعد عن المناهج المرفوضة فى التعامل مع التراث الإسلامى ، ومع فكر الآخر الإنسانى ، وهى :

١ - مناهج القبول المطلق المؤدى إلى التبعية ، سواء أكانت فى الانخراط فى مسائل الماضى والوقوف عند مشكلاته بما يشبه الغياب التام عن واقعنا ومشكلاتنا ، أم كانت فى التقليد الأعمى بنفسية القطيع للغرب وثقافاته التى تكونت من خليط من الرؤى المحرفة للوحى ، أو من رؤية مادية للكون والإنسان والحياة .

٢ - مناهج الرفض المطلق الذى يحرمنا من التراكم المعرفى ويدخلنا فى إطار التعصب الساذج وضياع الحقيقة الواقعية ويحول بيننا وبين العدل الذى أمرنا به : ﴿ **اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ .

٣ - مناهج الانتقاء العشوائى التى تؤدى إلى طرق المقاربات والمقارنات والتلفيق والتوفيق وغيرها من الأساليب غير العلمية والتى لا يرضاها عند التأمل أى منصف.

إن الكتاب الذى بين أيدينا اليوم تطبيق عملى ونموذج يحتذى به فى طريق بناء النظام المعرفى الإسلامى ووضع لبنات المنهجية بما يشتمل عليه من إشارات وتوضيحات وطريق للجمع بين القراءتين وعرض للأفكار الجديدة ، وكيف تستفيد وتحافظ على صلتها بالقرآن والسُّنَّة ، وتحدد موقفها من التراث والآخر وتنبثق من نظامها منهجيتها المعرفية .

عسى الله أن ينفع به الأمة وأن يكون نقلة نوعية فى طريق الكتابات الإسلامية الجادة الواعية ، وخطوة فى طريق الخروج من المأزم والمأزق الفكرى المعاصر .

القاهرة .

أول رجب الأصم ١٤١٥ هـ .

أ . د . / على جمعة محمد

أستاذ أصول الفقه – جامعة الأزهر

المقـــدمة

إن للأمة الإسلامية - والشعب العربى بمثابة القلب منها - خصائص عديدة ، ومزايا متنوعة فى مقدمة هذه الخصائص أنها :

١ - **أمة القراءة** : فقد بدأ تكوينها بكلمة « اقرأ » ، لا بكلمة « قاتل أو افتح لتقاتل ذلك الشعب » ، بل كانت البداية أمراً بالقراءة : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [١] (العلق : ١ - ٥) .

٢ - **الخاصية الثانية** : إن الحضارة الإسلامية التى صنعتها هذه الأمة حضارة كونية إنسانية عالمية أسسها وبناها الكتاب الكريم لا شىء آخر . فإذا رثت أو تقادم بها العهد أو طال على أهلها الأمد وقست منهم القلوب ، فإن المدخل إلى تجديدها وإصلاحها هو القراءة كذلك .

وبذلك حددت مهمة رسول الله - ﷺ - بقول الله تعالى : ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (الجمعة : ٢) .

ودعوة سيدنا إبراهيم كانت : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ (البقرة : ١٢٩) .

وقال جَلَّ شأنه ممتناً على عباده المؤمنين : ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ (آل عمران : ١٦٤) .

وقال جَلَّ شأنه : ﴿ **فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا* رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ...** ﴾ (الطلاق : ١٠ - ١١) .

وقال : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفاً مطهرة** ﴾ (البينة : ١ - ٢) ، ونفى عنه ﷺ صفتا الجبرية والتسلط فقال : ﴿ **لست عليهم بمصيطر** ﴾ (الغاشية : ٢٢) ، ﴿ **وما أنت عليهم بجبار** ﴾ (ق : ٤٥) ، وليظهر دين الهدى ودين الحق على يديه بين

الناس ، فيعم الهدى والسلام الأرض كلها ويدخل الناس فى السلم كافة . كان من خصائص رسالته صلى الله عليه وآله وسلم العموم والشمول والعالمية ، والربانية والتوازن والمنهجية المعرفية .

٣ - الخاصية الثالثة : أنها الأمة الجامعة الحافظة لتراث النبوات ، المؤتمنة عليه : ﴿ والذى أوحينا إليك من الكتاب مصدقاً لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير* ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ (فاطر : ٣١ - ٣٢) .

٤ - الخاصية الرابعة : هى التوحيد الخالص ، فهذه الأمة تنفرد من بين سائر الأمم بالاحتفاظ بصورة نقية من التوحيد الخالص ، توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الصفات ، وهو التوحيد الشامل الذى جاء به الأنبياء كلهم ، وأن الإسلام - بمعناه العام المطلق - هو دين التوحيد الذى جاء به جميع الأنبياء وسائر المرسلين ، وأنه إذا كانت التحريفات والانحرافات قد غيرت وحرفت كثيراً من رسالات الأنبياء ، والتصورات الدينية السليمة التى جاءوا بها ، فإن الله - تعالى - قد تكفل بحفظ التراث التوحيدى النبوى كله فى العقائد الإسلامية وأصولها ، وأودع سائر قواعدها فى الكتاب المعجز الخالد - القرآن المجيد - الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ليبقى التوحيد معياراً وميزاناً قادراً على بيان الحدود والفواصل بين الألوهية والعبودية . الألوهية ينفرد الله تعالى وحده بكل خصائصها والعبودية التى يتجرد الناس كل الناس فيها من خصائص الألوهية كلها، ليكونوا عباداً لله متساوين فى كل شيء بين يديه ، محررة قلوبهم وعقولهم من سائر المؤثرات الأخرى ، يدركون أنهم مستخلفون فى هذا الوجود ليقوموا - جميعاً - بمهمة لا تتم بدون علم ومعرفة ومنهج واستقامة وتوازن وعدالة وأمانة وشريعة وقراءة شاملة مستمرة للوحى والكون (٢) .

● مفهوم القراءتين (٣) :

إن القراءة التى ورد الأمر الإلّهى بها قراءة محددة المعالم ، واضحة الاتجاه ، فإن الأمر قد ورد مرتين بقراءتين :

القراءة الأولى : قراءة باسم الله تعالى لهذا الوحى النازل الذى سيتتابع نزوله حتى يتم قرآناً كريماً مجيداً مكنوناً مفصل الآيات تتلوه يا محمد على الناس ،

وتبينه لهم ليتعلموا منه الحكمة والهداية والرشد فتزكو نفوسهم ، وتطهر حياتهم ويهتدوا به فى أداء مهام الاستخلاف والقيام بواجب الائتمان وحق العمران . وحين رد رسول الله ﷺ - بأنه ليس بقارىء لا شك أنه فهم المطلوب وهو قراءة ما سيملى عليه وهو لا يعرف القراءة والكتابة ، وليس له من العلم ما يقرؤه ، ولكنه تعالى ربط القراءة « باسم ربك » ، فكأنه قال له : إنك لن تكون وحدك فى أداء هذا الفعل الذى لا تعرفه ، بل سيكون معك ربك الذي أعطاك الكثير وهو قادر على أن يعلمك كيفية أداء ما أمرك به ويزيد على ذلك كما علم آدم الأسماء كلها ، وكما علم إبراهيم وموسى وعيسى وسواهم من النبيين والرسل ، فاستعن به فى القراءة يعينك ويصحبك ويكن معك فيها وفى بيانها وتعليمها وإقامة الحجة بها على الناس .

وذكر الرب - جَلَّ شأنه - الإنسان ، وذكر خلق الإنسان بالذات فيه طمأنة لرسول الله - ﷺ - بأن منحه القدرة على القراءة ليس بالأمر الصعب على ربه الذى خلق كل شىء وخلق الإنسان من علق . كما أن فى ذكر الخلق تهيئة لذهنه الرشيد ونفسه الشريفة - ﷺ - لبيان النوع الثانى من القراءة ، ألا وهى قراءة الخلق ودراسة الوجود ، فهما - إذن - كتابان تجب قرائتهما : كتاب منزل متلو معجز وهو القرآن ، وكتاب مخلوق مفتوح وهو هذا الخلق والكون بدءاً من الإنسان ولا بد من قراءتهما - معاً - لتوجد المعرفة الحضارية الكاملة التى تمكن الإنسان من القيام بمهام الاستخلاف وأداء حق الأمانة ، والقيام بمقتضيات العمران . وهى معرفة لا تقوم على التلقى وحده ، بل على الأخذ عن الغير بالمراجعة والمطالعة وقراءة الكتب وكتابتها وتناقل الخبرات والمعارف بين البشر ، واستعمال القلم - الذى علم الله به وجعله وسيلة للمعرفة وتبادلها وإنمائها وتناقلها ، ثم ما يمن الله - تعالى - به من معارف تنقدح بها العقول من مستنبطات ومخترعات وغير ذلك مما يندرج تحت قول الله تعالى : « علم الإنسان ما لم يعلم » فهناك مصدران للمعرفة الإنسانية يتضافران فى توصيل الإنسان إلى معارف الشهود الحضارى ، والقيام بمهام العمران والاستخلاف فى هذا الكون ، ولا بد من الجمع بينهما ، فيفهم القرآن العظيم ومدلولاته بالخلق وبالوجود ، ويفهم الكون ويهتدى فى أداء مهام الخلافة فيه ، والقيام بمقتضيات الأمانة بالقرآن المجيد ونور هدايته . ولا بد من قراءة المصدرين وتنفيذ الأمر بالقراءتين : قراءة الوحى النازل المتمثل فى الكتاب

الكريم المحدد لغاية الحق من الخلق ، المنبه على السنن الحاكمة لهذا الوجود ، الموضح للمنهج والشرعة ، والحقائق الأساسية .

وقراءة كونية شاملة لآثار القدرة الإلهية ، وصفاتها وخلق الإنسان وسائر الظواهر الكونية ، وملاحظة ربوبية البارى جَلّ شأنه وكرمه البالغ فى خلق الإنسان واستخلافه ، وائتمانه على الكون ، وندبه لإعماره ، وتسخيره .

والقرآن المجيد المكنون بهذه الآيات الكريمات وما يرتبط بها قدم فى الماضى أنجح الحلول لأزمة الإنسان المعرفية فى عصر التنزيل ، تلك الأزمة التى عرفت بـ «الجاهلية» وبالظلمات ، ولا يزال - وحده - القادر على تقديم مفاتيح الحلول المعرفية لأزمة العالم المعرفية المعاصرة أو جاهلية القرن الميلادى العشرين .

فبالجمع بين القراءتين ، وإخراج القلم الوضعى عن دائرة نزقه وطغيانه وربطه بالقراءة الأولى وهو ما كتب به : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون** ﴾ (القلم : ١ ، ٢) ، يسترد العلم والمعرفة من دوائر الاستلاب الوضعى ، فالرحمن هو الذى ﴿ **علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان** ﴾ (الرحمن : ٢ ، ٤) .

وبذلك وضع الميزان وعهد إليكم : ﴿ **ألا تطغوا فى الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** ﴾ (الرحمن : ٨ - ٩) ، ﴿ **فهو الذى أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون**﴾ (النحل : ٧٨) .

فعلمه - وحده - العلم المحيط الكامل الشامل : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم** ﴾ (البقرة : ٢٥٥) .

فهو سبحانه ﴿ **قد أحاط بكل شىء علماً** ﴾ (الطلاق : ١٢) ، أما الناس فأكثرهم لا يعلمون وإذا علموا شيئاً فإنهم ﴿ **يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ (الروم : ٧) ، وبذلك فإن أزمة العالم المعرفية اليوم لا مخرج منها إلا منهجية القرآن المعرفية ، فلا نبى بعد محمد ولا كتاب بعد القرآن ﴿**ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً * فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً** ﴾ (الفرقان : ٥١ - ٥٢) .

فالقراءتان فى الوحى وفى الكون فريضتان ، لأنهما أمران إلهيان ، والجمع بينهما ضرورى ، إذ بدونه يقع الخلل : فمن تجاوز القراءة الأولى واستغرق استغراقاً كلياً فى القراءة الثانية التى تمثل علم الكون أو ميتافيزيقا الكون - فقد العلاقة بالله ، وتجاهل الغيب وانطلق بفلسفة وضعية منبتة عوراء قاصرة فى مصادرها تحاول أن توحد بين الإنسان والطبيعة ، وتعتبر الخالق والغيب كله مجرد ما ورائيات أو ميتافيزيقا إذا كانت قوة غيبية قد مارست خلقاً أو إيجاداً ، فقد تكون مارسته بقوة الدفعة الأولى ، ثم تناسته أو نسيته ليستمر الكون بعد ذلك فاعلاً ومنفعلاً بشكل آلى كما ذهب إلى ذلك أرسطو فى القديم ونيوتن وغيره فى الحديث ، وحين يحلو لبعض أصحاب هذه الفلسفة أن يتذكروا البارئ جل شأنه فإنهم قد يتذكرونه ولكن بشكل حلولى يزعم أن الله - تعالى - قد حل فى قوى الطبيعة ذاتها وذاب فيها ليتحول إلى جزء حال فيها لينتهوا بعد ذلك إلى المادية الجدلية - التى أنكرت الخالق تماماً وطرحت بدائل له من اتجاهات النمو عبر خصائص التطور المادى المعقد ليشعر الإنسان باندماجه الكامل بالطبيعة ككائن طبيعى ، وهنا يبدأ الإنسان الشعور بالغنى أو الاستغناء عن خالقه جَلَّ شأنه ، لأنه لم يعد يرى غير الطبيعة أمامه فهى كل شىء وهى وراء كل شىء وهو فى ظاهر الأمر قادر على قهرها : فلا يراها وهى مسخرة مقهورة بسنن الله تعالى ، بل يراها كون مستقل أى امتداد غيبى ، وآنذاك لا يشعر أن الله تعالى قد سخرها له وأنه الخالق له ولها بل يرى أنه نفسه الفاعل المبدع المتعدد القدرات المسيطر على الطبيعة المفجر لكوامن ما فيها : فالكون مهيأ مسخر للإنسان ، والإنسان مزود بالقدرات التمكينية الذهنية والعقلية والعلمية التى تمكنه من تسخير الكون ليقوم بأمانة الاستخلاف ، وحين يغفل الإنسان أو يعشو عن ذكر الرحمن ولا يرى القدرة الإلهية فى ذلك كله من خلال هداية الوحى يشده الشعور بالاستغناء ، والإحساس بالقدرة والإبداع إلى أن يجعل من علاقته بالكون علاقة تسلط وقهر وصراع ، وتفقد عناصر الطبيعة علاقتها الودية بالإنسان ، وكونه المخلوق المستخلف المؤتمن ، وكونها المخلوقة المسخرة لهذا المؤتمن والمستخلف ، وكلاهما فى المخلوقية والعبودية لله تعالى سواء ، ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ ، فيتخذ الوجود - آنذاك - شكل القوى المتصارعة المتنابذة ، ويتخذ الإنسان الغافل شكل المتأله المسيطر بالعلم على كل شىء ، فيمجد ذاته ويتخذ إلهه هواه ، يستمد قيمه من الطبيعة ،

وحتى الأديان تتحول عنده إلى شيء يوظف عندما تدعو الحاجة لسد ثغرة أو تلبية رغبة ، أو أداء خدمة . وهنا يحق عليه القول : ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾ (العلق : ٦ - ٧) ، فيقع في الاستبداد والطغيان (٤) ، وتحدث كوارث البيئة ، ويظهر التلوث والفساد فى البر والبحر والجو بما كسبت أيدى الناس ويختل التوازن وتظهر أمراض الانحراف والشذوذ فى المعمورة ، فقارات يعمها الجوع والخراب وأخرى تعمها الأمراض بكل أشكالها ، والجرائم بكل أنواعها ، وتسود المعيشة الضنكة : ﴿ **ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ (طه : ١٢٤) .

وقد يقنع الغافلون عن ذكر الرحمن أنفسهم بأن ما يحدث ضريبة طبيعية لازمة لا مناص للراغبين فى التمتع بالمعطيات الحضارية من احتمالها ودفع قيمتها الفادحة .

أما إهمال القراءة الثانية ، أى قراءة الوجود والكون والاقتصار على قراءة الوحى وحده منقطعاً منبتاً عن الوجود ، فإنه يؤدى إلى نفور من الدنيا ، واستقذار لها ولما فيها ، يشل طاقات الإنسان العمرانية والحضارية ، ويعطله عن أداء مهام الخلافة والأمانة والعمران ، ويحول بينه وبين التمتع بنعمة التسخير ، ويعطل فكره وينتقص من قيمة فعله ، بل قد يلغى فعله فلا يرى الإنسان نفسه فاعلاً فى شيء ولا يرى لوجوده فى الحياة معنى ، وكل هذه الأفكار منافية تماماً لمنهج القرآن العظيم .

إن تجاوز القراءة الثانية فى الكون وإهمالها أو عدم جمعها مع الأولى يؤدى إلى ظهور العجز الإنسانى الحضارى وتعطل طاقات الإنسان ، وإلى خلط عجيب بين قضايا عالم الغيب وعالم الشهادة ، وقد يتوهم المقتصرون على القراءة الأولى أن تنزيه البارى جَلّ شأنه لا يتم إلا إذا ألغيت قيمة الفعل الإنسانى ، ونفيت إرادته واختياره . واستلب استلاباً لاهوتياً كهنوتياً من دوره .

والناظر فى مقالات الإسلاميين فى الماضى وكتب الفرق الإسلامية يجد فى مقالاتهم العجب العجاب فى قضايا الخلط بين الفعل الإنسانى والفعل الإلهى والإرادة الإنسانية وقضايا الاختيار والعلل والأسباب وسواها ، ذلك الخلط الذى أدى إلى كثير من الغبش والاضطراب فى النظام المعرفى الإسلامى .

إذن لا بد من الجمع بين القراءتين : قراءة الوحى ، وقراءة الوجود ، والدمج بينهما ، لئلا يقع الإنسان فى أى من ذينك الطرفين الذميمين ، ومن هنا كان ما

سميناه بـ « إسلامية المعرفة » ضرورة معرفية ، وضرورة حضارية لا على المستوى الإسلامى وحده ، بل على المستوى العالمى كله للخروج من المأزق المعرفى المعاصر والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة : فبعد تكريس البعد المنهجى فى التفكير واجهت الحضارة الغربية - نفسها - مشكلة تحديد الصياغة المنهجية لحضارتها ومعرفتها صياغة تستند إلى تطور الغرب العلمى بكل جوانبه ، ولقد كانت الماركسية محاولة لإيجاد هذه الصياغة فى إطار المادية الجدلية ، وها هى الماركسية تنهار بانهيار الاتحاد السوفيتى قبل أن يجد الغرب البديل المعرفى والمنهجى لها لتبقى الحضارة الغربية دون صياغة فلسفية بديلة ، ودون إجابات عن معظم الأسئلة النهائية المعلقة التى يشيح علماء اليوم بوجوههم عن الإجابة عنها . أما أزمتنا نحن العرب والمسلمين فهى أشد وأنكى ، فنحن شركاء فى الأزمة العالمية من ناحية لأن علاقتنا بها لم تعد علاقة برانية أو هامشية كما يتوهم البعض - فالحضارة المعاصرة قد نجحت من خلال غزوها الفكرى والثقافى والمؤسسى أن تفرض علينا وعلى العالم كله منهجها ووعيها العلمى والمفاهيمى للوجود وللحركة الكونية ، كما فرضت على الجميع رؤيتها للتاريخ والعلم والمعرفة والحضارة والثقافة والتقدم والتخلف وغيرها ، فما هى حقيقة « إسلامية المعرفة » التى نقترحها حلاً لأزمتنا المعرفية والفكرية وأزمة العالم معنا ؟

توجد إسلامية المعرفة وتتحقق من قراءة كتابين ، وتؤسس على مقابلتهما والكشف عن التكامل ، والمنهجية فى البحث والاكتشاف بينهما : الكتاب الأول وهو كتاب الوحى المقروء ، ونعنى به « القرآن » ، والكتاب الثانى وهو كتاب الكون المتحرك الذى يتضمن ظواهر الوجود كافة . فالقرآن العظيم والكون البديع كلاهما يدل على الآخر ، ويرشد إليه ويقود إلى قواعده وسننه ، فالقرآن يقود إلى الكون ، والكون أيضاً يقود إلى القرآن ، وهذا ما أطلقنا عليه (الجمع بين القراءتين) ، قراءة تبدو غيبية فى إطار الوحى فى الكون ، وقراءة موضوعية من خلال الكون وعناصره فى الوحى . فقراءة الوحى بمثابة تنزل من الكلى إلى الجزئى ، وبما تتيحه القدرات البشرية النسبية من الفهم لتنزلات الكلى ، وقراءة الكون بمثابة تطلع من الجزئى باتجاه الكلى وفق قدرات البشر النسبية أيضاً على فهم الظواهر ، فلا يقع الفصام المزعوم بين معطيات الوحى ونتائج المعرفة الموضوعية .

وهذا ما أكدته بدايات التنزيل فى سورة العلق : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ (العلق : ١ - ٥) .

تلك أهمية الجمع بين القراءتين بإيجاز شديد . أما حين يحدث الفصام بين القراءتين ، فإن المناهج المعرفية البشرية تقود إلى نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون فقط بالجانب الغيبي فى القراءة ، أى بالقراءة الأولى فى الوحى فإنهم يسقطون الجانب الموضوعى وعناصره من حسابهم فيتحولون بالدين إلى لاهوت وكهنوت يستلب الإنسان والكون وينفى الأسباب وقوانين الحركة وصيرورتها وكافة السنن الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التى يتفاعل معها الإنسان ، وبذلك ينتهى أصحاب هذه القراءة إلى فكر سكونى جامد قد يحسب خطأ على الدين حين لا يلتفت إلى محدوديته وقصوره . والذين يتعلقون بقراءة الكون وحده ويركزون على الجانب الموضوعى فى إطار القراءة الثانية ، فإنهم ينفون البعد الغيبى الفاعل فى الوجود وحركته وينتهون تدريجياً إلى الفكر الوضعى فى المعرفة الذى يؤثر على النسق الحضارى بدوره ذلك إلتأثير السلبى .

وهكذا تنقسم البشرية وتتمزق وتتصارع بين اللاهوت الكهنوتى والوضعية الملحدة أو الجاهلة ، فى حين أن أوائل التنزيل فى سورة العلق تنفى اللاهوت عن الغيب حين تربط ما بين هذا الغيب والقراءة الثانية ، أى القراءة الموضوعية بالقلم. كما تنفى عن القراءة الموضوعية نهاياتها الوضعية حين تشدها إلى القراءة الأولى ، كما أنها تؤكد أن القارىء فى الحالتين وللقراءتين هو الإنسان المؤمن بالوحى الفاقه له من ناحية ظواهر الوجود الكونى وحركته فى الوقت ذاته ، فلا يقع استلاب للإنسان ولا إخلال بمركزيته ولا تجاوز لدوره .

إن الفصل بين القراءتين جعل البشرية تعانى الكثير من أنواع الفصام فى مناهجها التربوية ونظمها التعليمية بين علوم الدين والعلوم الكونية ، ولم تتوصل أمة من الأمم المعاصرة بعد إلى الصيغة التى تؤهل الطالب ليجمع بين العلمين فى آن واحد . سبب ذلك سيادة المناهج الغربية فى الفصل بين العلمين على مستوى العالم ، فطالب الوحى يذهب إلى كليات اللاهوت ، وطالب العلوم الكونية يذهب إلى كليات العلوم التطبيقية كما هو جار فى الغرب ، أما لدينا فالفصل قائم

بين كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين وكليات العلوم الحديثة ، أو العلوم الاجتماعية والإنسانية فضلاً عن العلوم التطبيقية .

هذا الفصل بين القراءتين الذى أدى إلى ذلك الفصام المنكر يحمل خطورة أخرى ، إذ يباعد بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، حيث طورت المناهج الوضعية علاقتها بهذه العلوم الإنسانية والاجتماعية وصاغتها وفق القراءة الثانية فقط وأبعدتها عن تأثير العلوم الشرعية وهداية الوحى كما أن حملة العلوم الشرعية أو النقلية فقدوا الكثير من قدرتهم على التأثير فى هذه المجتمعات المتغيرة المعقدة فى تراكيبها حين جعل بين علمهم والعلوم الاجتماعية والإنسانية وما تقدمه من عون على فهم هذه المجتمعات وطرائق التعامل مع قضاياها ، وهذا يمثل تنبيهاً على أهمية العلاقة بين علوم الوحى والعلوم والمعارف الاجتماعية والإنسانية ، وهناك مجالات عديدة من علوم النفس وعلوم الثقافات الإنسانية والأنساق الحضارية المختلفة التى تبدو الحاجة إلى الجمع بين القراءتين فيها أشد وأقوى ، فالجمع بين القراءتين ضرورى لتكوين ثقافة المسلم المعاصر وبشكل يختلف عن النسق الغربى الأوروبى الذى انتهى إلى ثنائية اللاهوت والوضعية وتصارعهما وتنابذهما . . إن خطورة هذه الثنائية المفتعلة والمتطرفة ، إنها وإن قامت على الفصام فإنها دفعت بعض الأنساق الحضارية دفعاً نحو الاتجاه الوضعى حين غيبت النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان وارتباط قيم الإنسان وأخلاقه بالله سبحانه وتعالى ، فتضخمت الذاتية البشرية على حساب القيم العقلية والأخلاقية ، وأهم ثمرات الدين مكارم الأخلاق ، إن ذلك التضخيم المفتعل للذاتية البشرية قد اتخذ وسيلة تبرير الصراعات القومية والصراعات الاجتماعية ، كما تم تبرير الفردية الليبرالية إلى أقصى حد ، وبذلك تكرس الصراع بكل مظاهره بدلاً عن السلام الذى تعطيه القيم، وما ذلك إلا لأن الإنسان رأى نفسه مستغنياً عن كل شىء حتى عن الذى خلقه ، ومن يستغنى عن الله - سبحانه وتعالى - يطغى فى الأرض ، ويتطاول بناصيته على كل من يدعوه للقيم والأخلاق ، ولهذا تم الربط بين بدايات التنزيل فى سورة العلق الداعية للجمع بين القراءتين وأزمة الطغيان والتطاول الإنسانى للأنساق الحضارية الوضعية المتعالية بتطورها العلمى التطبيقى المجرد : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى ﴾ (العلق : ٦ - ٨) .

نقضية الجمع بين القراءتين مسألة منهجية فى المعرفة وتقود إلى نتيجة حضارية ، فالذى يجمع بين القراءتين لا يستغنى عن الله لأنه يدرك دوماً افتقاره لله - سبحانه وتعالى ؟ فلا يستبد ولا يبتغى علواً فى الأرض ولا فساداً ولا يطغى .

* * *

● كيفية الجمع بين القراءتين :

إن المدخل الأساسى للجمع بين القراءتين يبدأ باكتشاف العلاقة المنهجية بين الناظم المنهجى لآيات القرآن من ناحية وبين السنن والقوانين المبثوثة فى الوجود وحركته من ناحية ثانية، مع الناظم المنهجى الذى يربط بينها. فالقرآن وحى إلهى نتعقل به ونتفهم هذا الوجود انطلاقاً من أن القرآن مطلق ومحيط وشامل ، وبقدر ما تتسع معرفتنا للاثنين معاً بقدر ما تتكون لدينا القدرة على الجمع بين القراءتين واكتشاف التداخل المنهجى بين الوحى والكون ، فمنهجية القرآن هى منهجية الوجود ، والمطلوب عدم الاقتصار على قول ذلك نظرياً ، ولكن ينبغى اكتشاف ذلك تطبيقياً . فالقول النظرى قد لا يتجاوز حالة تبشر بفرضية قد تكون غير صحيحة أو مما يمكن الطعن فيه ، ولهذا يكون التحدى الأول والأهم للمسلم المعاصر هو التداخل المنهجى من خلال الجمع بين القراءتين بين الوحى الإلهى والعلوم الطبيعية والإنسانية القائمة على السنن الإلهية فى الكون والحياة والإنسان .
أما الحديث عن عظمة القرآن ، فإن القرآن عظيم حقاً ومعجز فعلاً ، وقد كتب الناس عن عظمته وإعجازه آلاف الصفحات ، بل ملايينها ، لكن تلك الكتابات لم تستطع أن تكشف للناس عن منهجيته المستوعبة للكون وحركته ، والقادرة على إقامته على قواعد الهدى ودين الحق ، كما لم تؤد إلى الكشف عن التداخل المنهجى بين قراءة القرآن وقراءة الكون . فقد بقيت آيات كريمة كثيرة ومقولات دينية عديدة عرضة لتأويلات شتى . وفى كثير من تلك التأويلات تبدو الإسقاطات الإسرائيلية ونحوها واضحة . كذلك بقيت فى المعارف الإنسانية والاجتماعية الحديثة ، بل وفى العلوم الطبيعية المعاصرة كذلك أبعاد غائبة ، وأسئلة كثيرة حيرى لا تجد من مدارس تلك العلوم المختلفة إجابات شافية ، لأنها لم تكتشف ذلك التداخل المنهجى بين القراءتين إلا فى حدود جزئية تمثلت فى محاولات انتقائية يغلب على بعضها التلفيق الذى يجعلها تبدو مفتعلة إلى حد كبير كتلك المحاولات التى تبدو فيما عرف مؤخراً بـ « الإعجاز العلمى » (٥)

فتأكيدنا الدائم على وجوب الجمع بين القراءتين ، واعتبار ذلك شرطاً مسبقاً للخروج من الأزمة الفكرية والمعرفية فى مستوياتها العالمية والمحلية يحمل توكيداً على وجوب الالتفات إلى ذلك الارتباط المنهجى بين القرآن والكون والإنسان لتكتمل حلقات التصور الإسلامى وتظهر سائر مقوماته وتبرز علاقة الغيب بالطبيعة والإنسان ، ويتخلص الإنسان من مأساة الفصام بين اللاهوت والناسوت أو بينب الدنيا والآخرة ، أو بين التنزيل الإلهى والوضعية البشرية ، وما جره ويجره ذلك الفصام النكد من مشكلات .

إن هذه المهمة لا يستطيع النهوض بها إلا من أوتى القرآن وحظا من العلوم والمعارف كافياً لاكتشاف ذلك التداخل المنهجى بين القرآن والكون والإنسان ، ولذلك أرسيت قواعد « إسلامية » على الدعائم التالية :

١ - إعادة بناء الرؤية الإسلامية المعرفية القائمة على مقومات وخصائص التصور الإسلامى السليم ليتضح ما يمكن اعتباره النظام المعرفى الإسلامى القادر على الإجابة عن الأسئلة الكلية النهائية ، دون تجاوز شىء منها ، وبناء قدرة ذاتية على النقد المعرفى الذى يمكن من الاستيعاب والتجاوز بشكل منهجى منضبط ، فى الوقت نفسه يعطى القدرة على التوليد المعرفى المنهجى . والتفسير المعرفى الذى لا يقوم على الإقناع والخطابة بل على المعرفة المنهجية التامة .

٢ - إعادة فحص وتشكيل وبناء قواعد المنهجية الإسلامية على ضوء « المنهجية المعرفية القرآنية » وعلى هدى منها .

فإن أضراراً بالغة قد أصابت هذه المنهجية نتيجة القراءات المفردة والتجزيئية التى جعلت القرآن عضين ، وقرأت الوجود والإنسان فى معزل عنه قديماً وحديثاً ، وليتمكن العقل المسلم من تجاوز تلك الأمراض الفكرية التى شلت فاعليته كالاضطراب فى فهم علاقة الغيب بالشهادة وعلاقة النقل والعقل وعلاقة الأسباب بالمسببات وغير ذلك من أمور .

٣ - بناء منهج للتعامل مع القرآن المجيد من خلال هذه الرؤية المنهجية ، وباعتبار القرآن مصدراً للمنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضارى والعمرانى ، وقد يقتضى ذلك إعادة بناء وتركيب علوم القرآن المطلوبة لهذا الغرض، وتجاوز الكثير من الموروث فى هذا المجال من المعارف التى أدت دورها فى

خدمة النص القرآنى . فالإنسان العربى قد فهم القرآن ضمن خصائص تكوينه الأولى التى كانت بسيطة فى بداياتها ومحدودة اجتماعياً وفكرياً فى إطار لغوى ومعطيات نقلية تجعل الأهمية الأولى لصحة النقل وتوثيق الرواية بالطرق المتعارف عليها لديه ، والتى كانت تمثل أرقى المعارف فى طرق التوثيق فى عصره ، وحين التدوين الرسمى للعلوم والمعارف النقلية الإسلامية التى دارت حول النص القرآنى والحديث النبوى برزت تلك الخصائص ولكن فيما دون من علوم ومعارف . كما ظهرت إلى جانبها خصائص العقلية البلاغية واللغوية العربية فى تلك المرحلة وما تقتضيه من اتجاه نحو التجزئة باتجاه الجمل والتراكيب مع ملاحظة المفردات ، فتلك كانت هى المنهجية السائدة ، ولذلك اعتبر الفهم الذى تولد عنها مقبولاً وكافياً فى تلك المرحلة أما فى المرحلة العالمية الراهنة حيث تسيطر عقلية الإدراك المنهجى للأمور والبحث عن العلاقات الناظمة لها بطرق تحليلية ونقدية توظف الأطر والقواعد العلمية المختلفة ، وتربطها بموضوعات حضارية متشعبة وعلاقات متنوعة، فلا بد من إعادة النظر فى علوم وسائل فهم النص وخدمته وقراءته قراءة الجمع مع الكون والتداخل المنهجى معه ، وتخليصه من كثير من أنواع التفسير والتأويل المتعلق بتلك المراحل ، والربط الوثيق بالنسبى من خلال الإسقاطات الإسرائيلية وغيرها ، والربط التام بأسلوب النزول والمناسبات وحتى تظهر وجوه التحدى بالقرآن العظيم، ووجوه إعجازه ينبغى أن يضاف إليها - الآن - البعد الاجتماعى والمنهجى ليتحقق التحدى الدائم به ويبرز إعجازه الذي هو الدليل المنهجى الأول على إطلاقيته .

٤ - بناء منهج للتعامل مع السُّنَّة النبوية المطهرة - أيضاً - من خلال تلك الرؤية المنهجية ، وباعتبار السُّنَّة النبوية المطهرة كذلك مصدراً لبيان المنهج والشرعة والمعرفة ومقومات الشهود الحضارى والعمرانى ، فقد كانت مرحلة النبوة وعصر الصحابة مرحلة تعتمد على الاتصال المباشر برسول الله ﷺ ومتابعته والتأسى به فيما يقول أو يفعل : « خذوا عنى مناسككم » ، « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، والاتباع والتأسى يعتمدان على التحرك العملى لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى الواقع . فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يجسد بسلوكه القرآن على الواقع والربط بين النص والحياة . التطبيق النبوى والبيان المحمدى كانا يضيقان الشقة تماماً بين مكنونات المنهج الإلهى القرآنى ، وبين الواقع بعقليات أهله

وقدراتهم الفكرية والمعرفية وبشروط ذلك الواقع الاجتماعية والفكرية فى إطار السقف المعرفى السائد فيه ، ولذلك كان الرواة من الصحابة - رضوان الله عليهم - حريصين على أن لا تفوتهم أية جزئية تتعلق بحياة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لأن ذلك هو البديل الوحيد عن الوعى بالمنهج الناظم للقضايا المختلفة ، ولذلك اشتملت السُّنَّة على ذلك الكم الهائل من أقوال وأفعال وتقريرات رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وتلقينا كل تلك التفاصيل التى تجعلنا قادرين على أن نتابع حركته اليومية عليه الصلاة والسلام فى غدوه ورواحه وسلمه وحربه وتعليمه وقضائه وقيادته وفتواه ، وممارساته الإنسانية بطريقة تكشف عن أسلوبه أو سُنَّته عليه الصلاة والسلام فى التعامل مع الواقع ، وتكشف - إضافة لذلك - عن خصائص الواقع الذى كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يتعامل معه ويتحرك فيه . وهو واقع لا شك مغاير للواقع الذى نحياه فى تركيبته وعقليته .

لقد كان عليه الصلاة والسلام فى سُنَّته يمثل تجسيداً للربط بين المنهج القرآنى والواقع ، ولذلك فإن من الصعب فهم الكثير من القضايا فى معزل عن فهم ذلك الواقع الذى كان عليه الصلاة والسلام يتحرك فيه ، فحين ينهى عليه الصلاة والسلام عن النحت والتصوير ، ويعتبر المصورين أشد الناس عذاباً يوم القيامة (٦)، فلا ينبغى أن يفهم نهيه عن ذلك أنه موقف عام مطلق من الجماليات المجسمة يتعارض مع فهم نبى الله سليمان الذى كان يجند الجن يضعون له ما يشاء من تمايل ، ولا مع تساؤلات المعاصرين ومجادلاتهم فى هذا الموضوع ونحوه بأننا لا نشعر بالرغبة أو الاستعداد فى عبادتها ، فلماذا يحرم التصوير علينا ؟ ولا يكون الحل بفتوى جزئية تحل هذا النوع من التصوير وتمنع ذلك ، بل يلاحظ فيها المنهج الذى أشار عليه الصلاة والسلام إليه فى مواقف عديدة : « لولا قومك حديثو عهد بكفر لفعلت ولفعلت » (٧) .

لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يعمل على قطع دابر صناعة الأوثان والترويج لها بين قوم حديثى عهد بها ، ولا بد من الوصول إلى المنهج الناظم الضابط لمثل هذه القضايا وقراءتها قراءة معرفية تخرج الأحاديث النبوية والسنن إلى دائرة المنهج بدلاً من حصرها فى دائرة الجزئيات المتصارعة التى كثيراً ما

يحولها المختلفون إلى أقوال جزئية قد تدل على الشيء ونقيضه ، وكأنها أقوال أئمة المذاهب المختلفة . لقد ارتبط العرب فى مرحلة نزول القرآن بمفهوم الاتباع والاقتداء واتخذوا من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قدوة عملية جسدت لهم المنهج طبقاً لشروطهم الواقعية الحياتية وعبر الاتباع والاقتداء نشأت مفاهيم التعامل مع « المأثور والمنقول » ، وفى محاولة للتخفيف من الآثار التى نجمت عن ذلك التعامل الجزئى لجأ من لجأ إلى التأويل الباطنى والتفسير الرمزى والإشارى كمخرج من التقيد بحرفية المأثور ، ولكن ما زاد ذلك الأمر إلا اضطراباً وثارت بعد ذلك مشكلات حجية السُّنَّة جملة أو حجية بعض أنواعها وغير ذلك من قضايا لا نزال نعانى منها ، ولو أنه تم الوصول إلى المنهج القرآنى للتعامل مع السُّنَّة الذى يضبط التعامل معها فى سائر التفاصيل والجزئيات ولفهمت فى إطار المنهج قضاياها الجزئية من خلال إطار تبين المقاصد واتضاح الغايات .

إن العقلية المعاصرة عقلية تبحث - باستمرار - عن الناظم الموضوعى للأمور ، وتحاول النفاذ إلى المنهجية الكاملة الأبعاد ، فضمن هذه المنهجية يصبح التحليل والتفكيك والنقد والتفسير هو الإطار الموضوعى للحركة الفكرية فى تعاملها مع النصوص والقضايا الكونية والمحلية . وبهذه المنهجية يمكن النفاذ إلى مقاصد القرآن المجيد ، وتفهم السُّنَّة النبوية دون الوقوع فى إطار ماضوية سكونية أو تأويلات باطنية ، أو محاولات تجديدية تحاول إحداث تعديلات أو تأويلات لتطبيقات الماضى لتعيد إنتاجها فى الحاضر ، فكأنها تعبير عن الماضى فى ثوب جديد .

٥ - إعادة دراسة وفهم تراثنا الإسلامى وقراءته قراءة نقدية تحليلية معرفية تخرجنا من الدوائر الثلاث السائدة التى تحكم أساليب تعاملنا مع تراثنا - فى الوقت الحاضر - : دائرة الرفض المطلق له ، ودائرة القبول المطلق ، ودائرة الانتقاء اللامنهجى . فهذه الدوائر الثلاث لا يمكن أن تحقق التواصل مع ما يجب التواصل معه من هذا التراث ، كما لا يمكن أن تحقق القطيعة مع ما يجب إحداث القطيعة معه من ذلك التراث .

٦ - بناء منهج للتعامل مع التراث الإنسانى المعاصر - أيضاً - أو ما يعرف بـ «التراث الغربى» يخرج تعامل العقل المسلم معه من أساليب التعامل الحالية التى تخلفت عن أطر ومحاولات المقاربات ، ثم المقارنات ، ثم المقابلات والمعارضات

لتنتهى بالرفض المطلق ، أو القبول المطلق بروح مستلبة تماماً أو الانتقاء العشوائى المتحيز له أو عليه ، فهذه الخطوات أو المحاور أو المهام الستة هى التى أطلقنا عليها « إسلامية المعرفة » ، أو « المنهج التوحيدى للمعرفة » أو « أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية » ، وتوجيه العلوم الطبيعية وجهة إسلامية أو التأصيل الإسلامى للعلوم (٨) ، فنحن لأول مرة نجد انفسنا أمام وضعية عالمية تعمل على توظيف المعارف والعلوم واكتشافات العلوم ومنجزاتها توظيفاً يفصم العلاقة بين الخالق والكون والإنسان ، وذلك بطرح تصورات حول الوجود يبدو بعضها نقيضاً لتصوراتنا الإسلامية ، وقد تكون هى كذلك وقد لا تكون ، إذ ليست القضية أن ننتفى من مقولاتنا الدينية ما يتوافق مع تلك التصورات لنقول : إنها لدينا من قبل أو نرفضها وندمغها بالكفر ، فمنطلقنا ومنذ الأساس تجاه العلوم الكونية ليس منطلقا لاهوتياً أو كهنوتياً ، وليس مطلوباً منا أن نقتدى بغيرنا . إن تجربتهم فى مواجهة العلم ومنجزاته تختلف عن تجربتنا ، فلو كان القرآن لاهوتاً لما جازت فيه إلا قراءة البعد الواحد ، أى القراءة الأولى فقط ، وقد أمرنا بخلاف ذلك ، فنحن لا نصارع العلم لأننا ندرك أن الوحى فى الكون الكتابى هو ذات الوحى فى الكون الطبيعى ، ولكل منهما أسلوب ومنهج قراءة يخصه ، فإذا ظهرت انحرافات أسندت إلى العلم ، فالمطلوب هو تطهير العلم منها ، وإذا ظهرت انحرافات فى التفسير والتأويل ، فيجب حماية النص منها وهذا أساس الجمع . إذ لم يكن الدين من قبل يواجه سوى فكر عقلى وضعى مجرد ولم يكن مسلحاً بالعلم التطبيقى المعاصر ونتائجه التى أدت إلى قيام مذهبيات تجاوزت الوضعية التقليدية ، فالمطلوب منا - كما أمرنا - استرجاع أو استرداد العلم من هذه المذهبيات وتطهيره وإعادة توظيفه وتنقية علوم خدمة النص مما ألحق بها أو أضيف إليها ، لتستقيم القراءة وتتحقق إمكانات الجمع بين القراءتين .

* * *

● المهمة قرآنية وكذلك عالمية :

هذه المهمة - المتمثلة فى « إسلامية المعرفة » مهمة عالمية ، وإن تصورها البعض مهمة فى إطار الخصوصية الجغرافية والبشرية ، فنحن جزء متفاعل مع عالم اليوم، لا بغزوه الثقافى ، فذاك أمر كان سائداً فى القرنين - الثامن والتاسع عشر ،

ولكن تفاعلنا مع عالم اليوم يتم بغزو العلم التجريبى التطبيقى الذى يتطلب منا جهداً فى الأسلمة يعادل جهد أسلافنا الكرام فى مواجهة الغزو الفكرى الذى دق أبوابنا مع الثورة الفرنسية ، إذ كنا نواجه وقتها حالة عقلية مجردة ، وبإمكانيات الوضعية العقلية المحدودة ، أما الآن فإن المواجهة مع عقل علمى تجريبى أعاد صياغة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية كلها ، فإما أن نتحول إلى موقف الدفاع اللاهوتى العاجز ، وإما أن نتحول إلى العمل على اختراق النسق الحضارى والثقافى المعاصر من خلال أسلمة العلوم والمعارف كلها برؤية قرآنية كونية وجامعة فكافة هذه العلوم التجريبية لا زالت تتعثر فى انطلاقتها مقيدة إلى الجزئى ولم تأخذ بعداً كونياً يحتويها ، والبعد الكونى كامن فى الوحى القرآنى : ﴿ **إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير * لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ (غافر : ٥٦ = ٥٧) .

ومع كون المهمة عالمية يتأكد = أيضاً = كونها قرآنية ، فأمام التدافع الدينى وإفلاس الأنساق الحضارية العالمية وختم النبوة وبروز الأزمات الفكرية والمعرفية يتصدر القرآن وحده معركة شاملة باعتباره كتاب وحى مطلق ، ليستمر فى عطائه وكرمه بعد أن توقف الآخرون ، فهى معركة اختبار لنا فى مدى فهمنا لمنهجية القرآن وقدرتنا على الهيمنة الحضارية به على مختلف مناهج العلوم عبر الجمع بين القراءتين ، فالعلوم المعاصرة قد بلغت اليوم مرحلة تفكيك الظاهرة إلى حدود اللامتناهى فى الصغر وتسبح فى كون لا متناه فى الكبر ، فلم تعد الظواهر كما فهمها الأقدمون من أسلافنا بل وتمثلها العالم كله - تلك الظواهر الشاخصة والمجسدة أمام العين الناظرة ، فالحواس التى كانت هى وسيلة التعقل أفسحت المجال لحواس مجهرية وألكترونية أعطت مفهوماً جديداً للظاهرة ، فإذا فهم الأقدمون الذرة كحبة رمل مرئية = فإن الذرة اليوم مجهرية قد تحول معناها مما يبصر إلى ما لا يبصر : ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون** ﴾ (الحاقة : ٣٨ - ٣٩) .

وحيث فهم الأقدمون الأطوار التاريخية فهماً تعاقبياً تكرارياً ، فإن الأطوار اليوم صيرورة وتغيرات كيفية وليست تغيرات كمية فقط [٩] ، وهذا هو الفارق بين

السببية العلمية المعاصرة ، فالسببية المعاصرة صيرورة وتحولات كيفية بالدرجة الأولى .

* * *

● إسلامية المعرفة والمصير الإنسانى :

ليست قضية « إسلامية المعرفة » - إذن - مجرد ترف نظرى أو مماحكات فلسفية لأنها حين تطرح ضرورة الجمع بين القراءتين ، فإنما تفعل ذلك ليخلص الفكر البشرى من أزمة اللاهوت المستلب للإنسان والطبيعة ، وليخلص فى ذات الوقت من الإطار الوضعى للأفكار العلمية التى تفصم العلم عن خالقه ، فلكل من المنهجين آثاره وإسقاطاته على حياة الإنسان ونسقه الحضارى ومبادئه وتشريعاته ، فإسلامية المعرفة - عند التأمل الجاد لها - مقدمة « بديل حضارى عالمى » لا يستهدف المسلمين فقط ، بل يستهدف إصلاح للعالم أجمع ، وهذه مهمة تتطلب العديد من البحوث المميزة تنطلق من بحوث ودراسات فى القرآن العظيم نفسه بفهم جديد ومن منظور علمى وعالمى منهجى ، وهذه هى مهمة « إسلامية المعرفة » الأساسية .

إنه بدون فهم القرآن فهماً منهجياً فى إطار وحدته وبنائيته الكاملة فهماً يتصل وينعكس على فهمنا المنهجى المعاصر للظواهر الكونية ، وسنن حركتها فى وحدتها البنائية ، يستحيل تأسيس إسلامية المعرفة ، فمنهجية العالم المعاصرة من شأنها أن ترد الكثرة إلى الوحدة وتحلل الظاهرة بحثاً عن العلاقات والسنن الكامنة فيها وفيما وراءها ، ولا تكتفئ بتفسيرها ، والقرآن (المكنون والمجيد والكريم) قابل فى وحدته البنائية الكلية لهذا الفهم المنهجى ، بحيث ندرس الكتاب الكريم بمثل المنهجية التى يدرس بها العلماء الكون العظيم ، وكما ذكرت بعقلية علمية عالمية .

لا شك أن هناك أزمة لا بد من تجاوزها والتغلب عليها ، وتبدو هذه الأزمة فى أن العقل العلمى العالمى المعاصر يرفض كل الكتب الدينية وإذ يتسامح مع بعض موضوعاتها ، فإنه يصمم على رفض منهجيتها ووحدتها البنائية وإطارها الغائى مؤكداً على أن اختصاص الكتب الدينية يجب أن يتوقف عند القناعات الإيمانية وغيبيات ما وراء الطبيعة . وبالتالى فإن الجمع بين القراءتين - الغيب والموضوعية - يبدو فى نظر هؤلاء العلويين مستحيلاً طالما أن هناك مقولات فى الكتب الدينية

تتعلق بالغيب ، فإنه لا مجال لاتخاذها مصدراً من مصادر العلم ، وإلا تم تزييف أحدهما أو تلفيقه ، فكل ما تشير إليه الكتب السماوية من كائنات غير مرئية أو بعض القصص التاريخي الذى لا يخضع لاختبارات العلم الوضعى المعاصر لا يملك إعطاءه الصفة العلمية ، ولذلك خرجت اليونسكو على العالم بتعريف للمعرفة ينص على أنها : « كل معلوم خضع للحس والتجربة » .

إن هذا المنطق يصدر عن فهم خاطىء لم يلاحظ قضية الجمع بين القراءتين ، فغاية الجمع بين القراءتين أن تنتهى إلى « فهم كونى » للوجود لا يقتصر على القراءة الثانية بمفردها ، فلو اكتفينا بالقراءة الثانية فقط سنبقى فى حدود الإطار الوضعى للفكر ومقولاته حول الوجود ، ولمارسنا مفهوماً يعتمد على تفكيك الظاهرة وتجزءتها بمنطق الجدلية العلمية المعاصرة واحتماليتها ونسبيتها ، وهنا تبرز محاذير القراءة الثانية المنفردة ، أو أنها تنتهى بنا إلى فكر وضعى جزئى لا إلى فكر كونى . أما حين نجمع القراءة الثانية مع الأولى ، فإننا نتدرج من الجزئى الموضعى المحدود إلى الكلى فى إطلاقه الكونى بما فيه من ظواهر مرئية وغير مرئية فكل رفض لما يسمونه بالغيبيات والماورائيات هو رفض للقراءة الأولى ، القراءة الكونية - فى الوحى - باسم الله خالقاً ، فالوحى كلى مطلق يستوعب الجزئى والقراءة الأولى تأخذ بعين الاعتبار كل الغيبيات والماورائيات كجزء أساسى فى المنهج لا باعتبارها مجرد مسلمات يجب الإيمان بها قط ، ولكن باعتبارها دليلاً على وجود كونى أكبر من معطيات القراءة الثانية ، وهذا ما يعطى الخلق حقيقته الكونية المتكاملة ، فاستبعاد الغيبيات هو استبعاد للقراءة الأولى التى نجد عند البحث أم لكل قضية من قضاياها دلالاتها على مستوى الوجود والخلق الكونى فهى ليست أساطير أولين كما يتوهم البعض ، بل هى أمور ثابتة بأدلة كافية للتدليل على وجودها ، وإذا لم نأخذ بدلالاتها نرتد إلى القراءة الثانية الوضعية المتفردة ، فلا نكاد نعرف من التاريخ الكونى معناه الحقيقى ، فالقراءة الأولى لا تطلب فقط من الإيمان بوجود الله ، ولكنها توجه إلى ألوهية الخلق والتكوين الكونى وارتباط المصير الإنسانى بالتخليق الكونى كله ، أى منهجية الخلق المستوعبة لمنهجية الأشياء الموضوعية التى نقرأها بالقلم .

فنجمع بين منهجية الخلق (بالله خالقاً) ومنهجية الشيئية التى يرصدها ويسطرها (القلم) فى قراءة كونية واحدة ، فيتحقق الإطار الإيمانى الشامل وإلا

صارت المنهجية قراطيس انتقائية تميل بتحيز ذاتي إلى القراءة الثانية دون الأولى .

إن العالم ليخرج من أزمته الفكرية والحضارية يحتاج لإدراك البعد الكونى بمعناه الغيبى فى تركيب الوجود ومصيره ، وهذه هى مهمة القراءة الأولى التى تبدو للبعض قراءة يجب استبعادها من الدائرة العلمية .

المهمة كبيرة ، والتحدى ضخم . متسع باتساع هذه الكونية ، وبدايتها الجمع بين القراءتين وغايتها أسلمة المعرفة ليعم الرشد ويسود الحق وينتشر الهدى ، وتشرق الأرض بنور الإيمان والقرآن . واستمرارنا فى الحوارات العلمية الهادئة والتطبيقات المنهجية سوف يؤدى إلى إزالة هذه العقبة وغيرها من العقبات من طريقنا ، وتعامل أصحاب التخصصات المختلفة مع « منهجية القرآن المعرفية » سوف يؤدى إلى الكشف عن جوانبها ، وإقناع العلماء والباحثين بصحتها .

« والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

* * *

الهوامش

١ - انظر تفسير الآية فى التفسير الكبير لفخر الدين الرازى (١٣/ ٣٢) .

٢ - كثيرة هى الكتب والدراسات التى تناولت عناصر العقيدة والإيمان باعتبارها قاعدة لمنطلقات الإنسان المسلم الفكرية ، وقاعدة لرؤيته وتصوره للكون والحياة والإنسان ، وفى مقدمة هذه البحوث والكتب التى أعدت لبيان هذه القضية ، كتاب رسالة التوحيد لمحمد عبده ، و«الوحى المحمدى » لرشيد رضا ، و« نظام الإسلام العقائدى » للشيخ محمد المبارك ، و«العقائد » للأستاذ حسن البنا ، و« عقيدة المسلم » للشيخ الغزالى ، و« قصة الإيمان » للشيخ الجسر ، و« العدالة الاجتماعية » للأستاذ سيد قطب ، و« التصور الإسلامى للوجود» للدكتور حسن اللحياوى ، وغيرها .

٣ - فكرة الجمع بين القراءتين : قراءة الوحى ، وقراءة الكون ، والاصطلاح عليها وردت عند الحارث المحاسبى بشكل مجمل فى كتابه « العقل وفهم القرآن » ، حيث أشار رحمه الله إلى أن فهم القرآن يحتاج فيما يحتاج إلى فهم الكون كما أن الفخر الرازى قد بنى تفسيره الكبير مفاتيح الغيب انطلاقاً من هذه الفكرة وكان يعتذر بذلك ، وكان يصوغ باستمرار ما اشتمل عليه تفسيره من علوم وفنون كونية تتصل بالهيئات والفلك والنفس والروح والعلوم النقلية والعقلية والطبيعية وسواها بنفس الفكرة كأنه كان يؤكد باستمرار إن رد كل المعارف التى يتوصل الإنسان إليها إلى القرآن الكريم واستنباطها منه وفهمه بها ، ويمكن الاطلاع على ذلك فى مواضع عديدة من تفسيره وخاصة فى مقدماته ، بل إنه جاوز ذلك إلى حد تصنيف جميع العلوم والمعارف بالنسبة للقرآن إلى أصناف ثلاثة : فعلوم تستمد منه ، وعلوم يفهم بها ويفسر، وعلوم تستند إليها بشكل من الأشكال ، ويراجع تفسير التنوير للشيخ ابن عاشور ، وكذلك أكد هذا المعنى علماء كثيرون ومفسرون متعددون ، لكن من أهم الباحثين الذين بلوروا هذه الفكرة فى عصرنا هذا وحاولوا تقديمها بشكل نظرية متكاملة ذات مراحل متعددة تنتهى بالدمج بين القراءتين هو الأستاذ محمد أبو القاسم حاج حمد ، حيث تناولها فى كتبه الثلاثة : « العالمية الإسلامية الثانية » المطبوع سنة ١٩٧٩م فى دار المسيرة - بيروت ، وكتابه « الأزمة الفكرية فى الواقع العربى الراهن » ، وكتابه « منهجية القرآن المعرفية » .

وبقطع النظر عن الاختلافات فى بعض التفاصيل ، فإن الجمع بين القراءتين : قراءة الوحى، وقراءة الكون يعتبر المنطلق الأساس لأفكار أسلمة المعرفة التى تقوم سياسات ونشاطات المعهد العالمى للفكر الإسلامى عليها .

والجمع بين القراءتين كان هو المنهجية البارزة للصدر الأول ، وكان مصدر قوتهم المتمثل فى الربط بين النص والواقع بطريقة جعلتهم يفهمون النص فهماً سليماً مكنهم من بناء تلك الحضارة الشامخة التى حققوا بها شهودهم الحضارى فى العالم قبل أن تظهر تلك العلوم الوسيطة التى تحولت إلى حائل بين العقل المسلم والنص الموحى ، فالجمع بين القراءتين بالنسبة للسلف الصالح منهجيته التفاعل السليم بين العقل المهتدى والنص المعصوم والواقع

المتغير تفاعلاً جعل من فقه التنزيل وفهمه وآليات ربطه بالواقع وترشيد سبل الحياة بقيمه الأساس السليم للحضارة الإسلامية ، وما اختلا منهج الجمع بين القراءتين إلا بعد أن ظهرت المعارف الوسيطة أو النصوص الموازية التى انشغل العقل المسلم بها عن النص القرآنى أو عن الكون وقضاياه ، فأدى ذلك إلى نوع من الفصام بين النص والواقع وفهم كل منهما فهماً خاصاً منفصلاً عن الآخر ومنعزلاً عنه .

٤ - انظر تفسير الآية فى التفسير الكبير لفخر الدين الرازى (١٣ - ٣٢) .

٥ - هناك فرق كبير بين تأكيدات إسلامية المعرفة على أنها تقوم على الجمع بين القراءتين ، حيث تتخذ الوحى مصدراً أساسياً للمعرفة تقرأ به الكون وتتخذ من الكون وسنته وقوانينه عوناً على فهم الوحى ، ففى إطار القراءتين والجمع بينهما تبنى إسلامية المعرفة ذاتها وتقيم قواعدها، وهى تفارق مفهوم الإعجاز العلمى بأنها قضية منهجية تنطلق من القرآن الكريم بالاتجاه العلمى والمعرفة من منطلق الاستيعاب والتجاوز ، أما الإعجاز العلمى فيندرج فى إطار المحاولات الجزئية للتفسير والتأويل ، وتدخل فى إطار اتجاهات التوفيق بين العلم والقرآن ومحاولات الحصول على نوع من الأسانيد العلمية لبيان صحة ما ورد فى القرآن الكريم ، وهذا الجهد مع اشتماله على بعض الفوائد إلا أنه جهد ينطلق من العلم باتجاه القرآن الكريم ، ولا ينطلق من القرآن الكريم باتجاه العلم لمحاولة إنقاذه وإخراجه من دائرة الاستلاب الوضعى ، كما أن عمليات البحث فى إطار الإعجاز العلمى لا تتخذ شكلاً منهجياً ، بل هى أمور انتقائية يقوم الإنسان فى إطارها بعملية انتقاء يقارب من خلالها ، وبطريقة القياس بين بعض القضايا العلمية والآيات القرآنية ، وهذا شىء والاتجاه المنهجى الذى تتبناه إسلامية المعرفة شىء آخر ، ولذلك فإننا نود أن نؤكد الفارق الكبير بين توجه إسلامية المعرفة المنهجى وتوجهات الإعجاز العلمى الانتقائية التى تكاد أهدافها تنحصر بالانطلاق من بعض الخصائص العلمية لإثبات عدم تعارض المقولات الإسلامية والآيات الدالة عليها والاكتشافات العلمية ، وذلك فى أحسن أحواله يمكن أن يندرج فى إطار محاولات التأويل والتفسير العصرى المحوطة بكثير من الاحتمالات .

٦ - حديث : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة . . » أخرجه النسائى فى سننه ، كتاب الإيمان وشعبه ، باب : ذكر أشد الناس عذاباً (٥٣ - ٥٦) .

٧ - حديث : « لولا قومك حديثو عهد بالكفر . . » أخرجه النسائى فى سننه ، كتاب الزكاة ، باب : بناء الكعبة (٢٩٠٠) من حديث عائشة بلفظ : « لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام وجعلت له خلفاً . . . » .

٨ - راجع رسالتنا «إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم» للاطلاع على تعريف أسلمة المعرفة.

٩ - إن فهم الأطوار التاريخية فهماً قائماً على التعاقب والتكرار يؤدى إلى قناعات فكرية سكونية ترى أن الأحداث تتكرر فى إطار دورة تجعل بالإمكان تقديم حلول متكررة أيضاً بقطع النظر عن مرحلة إنتاج تلك الحلول وكيفيتها ، أما الفكر القائم على النظر إلى التاريخ على أنه يمثل صيرورة وتغيرات كيفية ، فإنه يواجه العقل الإنسانى بتحديات مستمرة تفرض عليه تقديم حلول متجددة والرجوع المستمر والدائم إلى النص المطلق الذى هو القرآن الكريم ، وبالنسبة للمسلم سنعرض عليه أفكار الصيرورة والارتباط المستمر بالقرآن العظيم لأنه هو الذى يمكن أن يمده بالحلول المتجددة باستمرار .

إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً ـ سلسلة إسلامية المعرفة

ـ إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي/ الرياض/ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م..
ـ الوجيز في إسلامية المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق عمل بعض مؤتمرات الفكر الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م. أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر.
ـ نحو نظام نقدي عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمه عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصري، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
ـ نحو علم الإنسان الإسلامي، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، (دار البشير/ عمان الأردن) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
ـ منظمة المؤتمر الإسلامي، للدكتور عبدالله الأحسن، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
ـ تراثنا الفكري، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
ـ مدخل إلى إسلامية المعرفة: مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
ـ إصلاح الفكر الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
ـ إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر، أبحاث الندوة المشتركة بين مركز صالح عبدالله كامل للأبحاث والدراسات/ بجامعة الأزهر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

ثانيًا ـ سلسلة إسلامية الثقافة

ـ دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
ـ الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ثالثًا ـ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي

ـ حجية السنة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الثانية، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
ـ أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
ـ الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
ـ كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
ـ كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، دار القارئ العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- المسلمون والبديل الحضاري للأستاذ حيدر الغدير، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- مشكلتان وقراءة فيهما للأستاذ طارق البشري والدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، دار القارئ العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، للأستاذ راشد الغنوشي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

رابعًا ـ سلسلة المنهجية الإسلامية

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثالثة، دار القارئ العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي، الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
  الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
  الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- معالم المنهج الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- في المنهج الإسلامي: البحث الأصلي مع المناقشات والتعقيبات، الدكتور محمد عمارة، القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل التأصيل والاستقراء، للأستاذ نصر محمد عارف، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

خامسًا ـ سلسلة أبحاث علمية

- أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الطبعة الثالثة، (منقحة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- العلم والإيمان: مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، للدكتور عبد المجيد النجار، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سادسًا ـ سلسلة المحاضرات

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

سابعًا ـ سلسلة رسائل إسلامية المعرفة

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الأسس الإسلامية للعلم، للدكتور محمد معين صديقي، القاهرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

ثامنًا ــ سلسلة الرسائل الجامعية

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للأستاذ أحمد الريسوني ، الطبعة الأولى، دار الأمان ــ المغرب، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ــ الرياض ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الطبعة الثالثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الخطاب العربي المعاصر: قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة (١٩٧٨ــ١٩٨٧)، للأستاذ فادي إسماعيل، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، الطبعة الثالثة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢.
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الثالثة، دار القارئ العربي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- القرآن والنظر العقلي، للأستاذة فاطمة إسماعيل، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للدكتور راجح الكردي، دار المؤيد، الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، للدكتور عبد الرحمن الزنيدي، دار المؤيد الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي، للدكتورة نعمت عبد اللطيف مشهور، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، للدكتور سليمان الخطيب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- الأمثال في القرآن الكريم، للدكتور محمد جابر الفياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

تاسعًا ــ سلسلة المعاجم والأدلة والكشافات

- الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محي الدين عطية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري، للأستاذ محي الدين عطية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- الفكر التربوي الإسلامي، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
- قائمة مختارة: حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة، للأستاذ محي الدين عطية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

عاشرًا ــ سلسلة تيسير التراث

- كتاب العلم، للإمام النسائي، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

حادي عشر ــ سلسلة حركات الإصلاح ومناهج التغيير

- هكذا ظهر جيل صلاح الدين.. وهكذا عادت القدس، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

ثاني عشر ــ سلسلة المفاهيم والمصطلحات

- الحضارة ــ الثقافة ــ المدنية «دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم» للأستاذ نصر محمد عارف ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

الموزعون المعتمدون لمنشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المملكة العربية السعودية: الدار العالمية للكتاب الإسلامي ص.ب 55195 الرياض 11534
تليفون: 1-465-0818 (966) فاكس: 1-463-3489 (966)

المملكة الأردنية الهاشمية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص.ب. 9489 - عمان
تليفون: 639-992 (962-6) فاكس: 611-420 (962-6)

لبنان: المكتب العربي المتحد ص.ب. 135788 بيروت.
تليفون 807-779 (961-1) 860-184 (961-1) فاكس: 478-1491 (212) C/O

المغرب: دار الأمان للنشر والتوزيع، 4 زنقة المامونية الرباط
تليفون: 723-276 (212-7) فاكس: 200-055 (212-7)

مصر: دار النهار للطبع والنشر والتوزيع، 7 ش الجمهورية عابدين – القاهرة
هاتف 3406543 (20-2) فاكس 3409520 (20-2)

الإمارات العربية المتحدة: مكتبة القراءة للجميع ص.ب 11032، دبي (سوق الحرية المركزي الجديد)
تليفون: 663-901 (971-4) فاكس 690-084 (971-4)

شمال أمريكا:

- السعداوي/ المكتب العربي المتحد SA'DAWI PUBLICATIONS /UNITED ARAB BUREAU
P.O. Box 4059, Alexandria, VA 22303 USA. Tel: (703) 329-6333 Fax: (703) 329-8052

- خدمات الكتاب الإسلامي
ISLAMIC BOOK SERVICE
10900 W. Washington St. Indianapolis, IN 43231 USA
Tel: (317) 839-9248 Fax: (317) 839-2511

بريطانيا:

- المؤسسة الإسلامية
THE ISLAMIC FOUNDATION
Markfield Da'wah Center, Ruby Lane Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944/45 Fax: (44-530) 244-946

- خدمات الإعلام الإسلامي
MUSLIM INFORMATION CENTRE
233 Seven Sisters Rd. London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272- 5170 Fax: (44-71) 272-3214

فرنسا: مكتبة السلام
LIBRAIRE ESSALAM
135 Bd. de Menilmontant. 75011 Paris Tel: (33-1) 43 38 19 56 Fax: (33-1) 43 57 44 31

بلجيكا: سيكومبكس
SECOMPEX. Bd. Mourice Lemonnier; 152
1000 Bruxelles Tel (32-2) 512-4473 Fax (32-2) 512-8710

هولندا: رشاد للتصدير
RACHAD EXPORT, Le Van Swinden Str. 108 11
1093 Ck Amsterdam Tel: (31-20) 693-3735 Fax (31-20) 693-8827

الهند:
GENUINE PUBLICATIONS & MEDIA (Pvt.) Ltd.
P.O Box 9725 Jamia Nager New Delhi 100025 India
Tel: (91-11) 630-989 Fax: (91-11) 684-1104

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) لتعمل على:

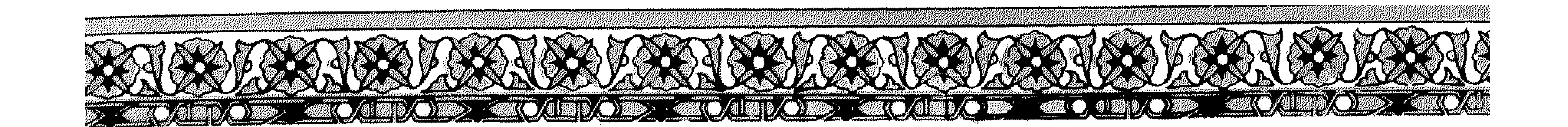
- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH



هذا الكتاب

تعبير " إسلامية المعرفة " ضرورة معرفية وضرورة حضارية لا على المستوى الإسلامي وحده ، بل على المستوى العالمي كله للخروج من المأزق المعرفي المعاصر ، والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة .

وإسلامية المعرفة تتحقق من قراءة كتابين ..كتاب الوحي المقروء ونعني به " القرآن " ، وكتاب الكون المنظور الذي يتضمن ظواهر الوجود كافة . فالقرآن الكريم والكون البديع كلاهما يدل على الآخر ويرشد إليه ويقود إلى قواعده وسننه ، فالقرآن يقود إلى الكون ، والكون أيضاً يقود إلى القرآن . وهذا يمكن أن نطلق عليه (الجمع بين القراءتين).

وحين يحدث الفصام بين القراءتين ، فإن المناهج المعرفية البشرية تقود إلى نتيجتين خطيرتين : فالذين يتعلقون فقط بالجانب الغيبي في القراءة ، أي بالقراءة الأولى في الوحي فإنهم يسقطون الجانب الموضوعي وعناصره من حسابهم فيتحولون بالدين إلى لاهوت وكهنوت ، و ينتهي أصحاب هذه القراءة إلى فكر سكوني جامد قد يحسب خطأ على الدين والذين يتعلقون بقراءة الكون وحده ويركزون على الجانب الموضوعي في إطار القراءة الثانية ، فإنهم ينفون البعد الغيبي الفاعل في الوجود وحركته وينتمون تدريجياً إلى الفكر الموضوعي في المعرفة الذي يؤثر على النسق الحضاري .

والجمع بين القراءتين جمعاً جدلياً وتفاعلياً يشير ليس فقط إلى مناهج نظر ، بل يمتد ليحرك عناصر معينة لتفعيل آليات الجمع بين القراءتين وبما يحقق عناصر الوصل لا الفصل بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية وفي دراسة كثير من القضايا والموضوعات ، ومن أهم فوائد هذا الكتاب أنه أشار إلى أهمية وخطورة ذلك ضمن صياغات النظام المعرفي والأصول المنهجية ومناهج التعامل مع المجالات المعرفية المختلفة والتكامل فيما بينها .

